التَّارِيخُ: 13.12.2024

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَاَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ اَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ اِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

إِنَّ بَعْدَ كُلِّ عُسْرٍ يُسْرًا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

فِى مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ بَدَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الكِرَامُ الاِسْتِعْدَادَ لِفَتْحِ مَكَّةَ. وَلْنَتَذَكَّرْ فِى خُطْبَةِ الجُمُعَةِ لِهَذَا الأُسْبُوعِ فَتْحَ مَكَّةَ الَّذِى فِيهِ مِنَ العِبَرِ وَالعِظَاتِ الشَّىْءُ الكَثِيرُ، وَلْنَتَفَكَّرْ مَرَّةً أُخْرَى فِى مَا حَدَثَ فِى ذَلِكَ اليَوْمِ، دَعُونَا نَسْتَخْلِصُ الدُّرُوسَ الضَّرُورِيَّةَ الَّتِى مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُقَدِّمَ إِسْهَامَاتٍ إِيجَابِيَّةً فِى حَيَاتِنَا .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَعِزَّاءُ!

كَانَتِ السَّنَةُ الثَّامِنَةُ لِلْهِجْرَةِ عِنْدَمَا انْطَلَقَ رَسُولُنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةُ الكِرَامُ فِى غَزْوَةٍ إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ مِنْ أَجْلِ اسْتِعَادَةِ وَطَنِهِمْ اَلَّذِينَ اضْطُرُّوا إِلَى مُغَادَرَتِهِ بِحُزْنٍ، وَتَطْهِيرِ الكَعْبَةِ مِنَ الأَصْنَامِ. وَبَعْدَ الاِسْتِعْدَادَاتِ لِلْفَتْحِ دَخَلَ الجَيْشُ الإِسْلَامِىُّ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ. وَفِى تَوَاضُعٍ عَظِيمٍ حَمِدَ الحَبِيبُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ وَاسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ وَطَافَ بِالبَيْتِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَعِدَ دَرَجَ الكَعْبَةِ وَقَالَ: **"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ"**[1]. وَاجْتَمَعَ أَهْلُ مَكَّةَ حَوْلَ الكَعْبَةِ يَنْتَظِرُونَ بِقَلَقٍ وَخَوْفٍ قَرَارَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَأْنِهِمْ فَنَادَى رَسُولُ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ عَلَى الجُمُوعِ المُنْتَظِرَةِ لَهُ: **" لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، اِذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"**[2].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الأَفَاضِلُ!

إِنَّ فَتْحَ مَكَّةَ يُعَلِّمُنَا أَنَّ بَعْدَ كُلِّ عُسْرٍ يُسْرًا، وَأَنَّ بَعْدَ كُلِّ ضِيقٍ فَرْجًا وَأَنَّ بَعْدَ كُلِّ حُزْنٍ فَرَحًا. بَلْ إِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِى سُورَةِ الاِنْشِرَاحِ: **" فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا "**[3]. إِنَّ فَتْحَ مَكَّةَ يُنْبِئُنَا أَنَّ الحَقَّ سَيَنْتَصِرُ عَلَى البَاطِلِ، وَالعَدْلَ عَلَى الظُّلْمِ، وَالخَيْرَ عَلَى الشَّرِّ. إِنَّهُ يُخْبِرُنَا بِمَدَى أَهَمِّيَّةِ وَضَرُورَةِ فَتْحِ القُلُوبِ قَبْلَ فَتْحِ البِلَادِ. وَيُذَكِّرُنَا بِأَلَّا نَيْأَسَ مِنْ عَوْنِ اللهِ عِنْدَمَا نَنْهَزِمُ، وَأَنْ نَتَّخِذَ العَدْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالإِنْصَافَ أَسَاسًا عِنْدَ النَّصْرِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَفَاضِلُ!

إِنَّ التَّارِيخَ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الظُّلْمَ لَمْ يَنْتَصِرْ وَلَنْ يَنْتَصِرَ أَبَدًا. فَعَلَى مَرِّ التَّارِيخِ لَمْ يَتَمَكَّنِ الظَّالِمُونَ أَبَدًا مِنْ تَحْقِيقِ أَطْمَاعِهِمُ الغَادِرَةِ وَلَنْ يَتَمَكَّنُوا. وَسَيَتَحَقَّقُ وَعْدُ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **"وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"**[4]. وَإِنَّ خَاتِمَةَ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَكُونُوا عَبِيدًا لِلظُّلْمِ وَأَنْ يُضِلُّوا سَتَكُونُ وَخِيمَةً.إِنَّ الَّذِينَ يُعِينُونَ عَلَى الظُّلْمِ وَ يَنْصُرُونَ الظَّالِمَ لَنْ يَنْجُوَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ أَبَدًا كَمَا لَمْ يَنْجُوَا الظَّالِمُونَ. إِنَّ آهَاتِ المَظْلُومِينَ لَمْ تَبْقَ وَلَنْ تَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ أَبَدًا. وَتَحْذِيرُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى هَذَا الصَّدَدِ وَاضِحٌ جِدٍّ: **"اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"**[5].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الأَعِزَّاءُ!

دَعُونَا نَسْتَمِرُّ فِى الوُقُوفِ إِلَى جَانِبِ المَظْلُومِينَ أَيْنَمَا كَانُوا فِى العَالَمِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ دِينِهِمْ وَعِرْقِهِمْ وَلَوْنِهِمْ. دَعُونَا نَتَآزَرُ عَلَى هَدْيِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَمَا فِى فَتْحِ مَكَّةَ. دَعُونَا نُحَافِظُ عَلَى آمَالِنَا فِى المُسْتَقْبَلِ بِمُرَاعَاةِ حُقُوقِ وَأَخْلَاقِ الأُخُوَّةِ. وَلْنَكُنْ يَقِظِينَ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ زَرْعَ بُذُورِ الفِتْنَةِ وَالفَسَادِ بَيْنَنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

وَنَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَبْلُغَ الحَمْدُ مُنْتَهَاهُ أَنْ وَفَّقَ أَجْدَادَنَا لِنُصْرَةِ وَحِمَايَةِ المَظْلُومِينَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى البَلْقَانِ، وَمِنْ شِبْهِ جَزِيرَةِ القَرْمِ إِلَى القُوقَازِ، وَمِنْ آسْيَا إِلَى أَفْرِيقْيَا، وَأَنْ جَعَلَنَا نَحْنُ أَحْفَادَهُمْ نَسِيرُ عَلَى نَفْسِ الطَّرِيقِ، وَأَنْ تَقَبَّلَ دَعْوَةَ المَظْلُومِينَ. وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوَفِّقَ إِخْوَانَنَا وَأَخَوَاتِنَا الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ الحَقِّ ضِدَّ الظَّالِمِينَ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُمَّ الخَيْرُ فِى الْأَرْضِ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَعِيشَ النَّاسُ جَمِيعًا فِى كَرَامَةٍ وَأَمَانٍ وَحُرِّيَّةٍ.

وَأَخْتِمُ خُطْبَتِى بِسُورَةِ النَّصْرِ: **" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا "**[6].

---

[1] ابْنُ مَاجَهْ، كِتَابُ الدِّيَات،5.

[2] سُورَةُ يُوسُفَ،92/12؛ الْوَاقِدِىُّ،كِتَابُ مَغَازِى،الْجُزْءُ الثَّانِى،835؛ الْبَيْهَقِىُّ، كِتَابُ السُّنَنِ الْكُبْرَى،الْجُزْءُ التَّاسِعُ،195.

[3] سُورَةُ الاِنْشِرَاح،6/95،5.

[4] سُورَةُ الصَّفّ،8/61.

[5] الْبُخَارِىّ، الزَّكَاة، 63.

[6] سُورَةُ النَّصْر،1/110-3.